



(١) - (١٧)

العدد الثاني
والأربعون

(دور الاستعارة في توليد المعنى الوجداني: مقارنة تحليلية لشعر جاسم الخالدي)

م. د أسعد ناصر عبيد

جامعة واسط/ كلية التربية للعلوم الإنسانية

aobaid@uowsit.edu.iq

م. د علي محمود حبيب

جامعة واسط /كلية التربية الأساسية

Ali.Mahmod@uowasit.edu.iq

المستخلص:

يُعدّ هذا البحث دراسة تحليلية عميقة لدور الاستعارة في توليد المعنى الوجداني في الشعر العربي الحديث، من خلال مقارنة تطبيقية على شعر جاسم الخالدي، يبدأ البحث بتتبّع مفهوم الاستعارة في التراث البلاغي العربي، حيث يؤكد على أنها ليست مجرد أداة تزيينية، بل آلية فكرية وجدانية تسهم في تشكيل المعنى وإنتاج الدلالات العاطفية، فالاستعارة تنقل الكلمات من حيزها (الحرفي) إلى حيز (مجازي) مكنز بالمشاعر والأفكار، مما يسمح للشاعر بالتعبير عن حالاته النفسية والوجدانية بطريقة إيحائية ومكثفة، ومن خلال تحليل نصوص مختارة من دواوين الخالدي، يظهر البحث كيف تعمل الاستعارة على تحويل المعاني المجردة إلى صور حسية مؤثرة؟ وكيف تسهم في تجسيد المشاعر الإنسانية مثل الحب والكراهية والألم والاعتراب؟ فيما يخلص البحث إلى أنّ الاستعارة في شعر الخالدي ليست وسيلة لغوية فحسب؛ بل هي ركيزة أساسية في بناء الخطاب الشعري الحديث، حيث تمكن الشاعر من نقل تجاربه الذاتية والجماعية بطريقة فنية تلامس وجدان المتلقي وتثير فيه استجابات عاطفية عميقة. كما تؤكد الدراسة على الأبعاد المعرفية والفلسفية للاستعارة، التي تجعل منها أداة حيوية في تشكيل الوعي الإنساني وتقديم رؤى جديدة للواقع.



الكلمات المفتاحية: الاستعارة، المعاني الوجدانية الإنسانية، الشعر العربي الحديث، المقاربات الشعرية، جاسم حسين الخالدي.

(The role of metaphor in generating emotional meaning: An analytical approach to the poetry of Jassim Al-Khalidi)

Dr. Asaad Nasser Obeid

University of Wasit College of Education for Humanities

aobaid@uowsit.edu.iq

Dr. Ali Mahmoud Habib

University of Wasit College of Basic Education

Ali.Mahmod@uowasit.edu.iq

Abstract:

This research provides an in-depth analytical study of the role of metaphor in generating emotional meaning in modern Arabic poetry, through an applied approach to the poetry of Jassim Al-Khalidi. The study begins by tracing the concept of metaphor in the Arabic rhetorical tradition, emphasizing that it is not merely a decorative tool, but a cognitive and emotional mechanism that contributes to shaping meaning and producing affective connotations. Metaphor transfers words from their literal domain to a figurative one rich with emotions and ideas, allowing the poet to express psychological and emotional states in an evocative and condensed manner. By analyzing selected texts from Al-Khalidi's collections, the research demonstrates how metaphor transforms abstract meanings into impactful sensory images and contributes to embodying human emotions such as love, hatred, pain, and alienation. The study also addresses different types of metaphors (explicit and implicit) and their role in constructing poetic imagery that reflects the poet's worldview and emotional experiences. The research concludes that metaphor in Al-Khalidi's poetry is not merely a linguistic device, but a fundamental pillar in building modern poetic discourse, enabling the poet to convey personal and collective experiences in an artistic manner that touches the recipient's emotions and evokes deep



emotional responses. The study also highlights the cognitive and philosophical dimensions of metaphor, which make it a vital tool in shaping human consciousness and offering new perspectives on reality.

Keywords: Metaphor, human emotional meanings, modern Arabic poetry, poetic approaches, Jassim Hussein Al-Khalidi.

المقدمة:

ترجع لفظة الاستعارة وما قاربها من منطلق هذا اللفظ إلى الفعل الثلاثي (عور)؛ إذ اشتقت منه بألفاظ عدّة ترجع لمعنى واحد، وهو معنى (الإعارة) بالعموم، الذي بينه أصحاب المعجمات وعلى رأسهم ابن منظور بقوله: "وَقَدْ أَعَارَهُ الشَّيْءَ وَأَعَارَهُ مِنْهُ وَعَاوَرَهُ إِيَّاهُ، وَالْمُعَاوَرَةُ وَالْتَعَاوُرُ: شِبْهُ الْمُدَاوَلَةِ وَالتَّدَاوُلِ فِي الشَّيْءِ يَكُونُ بَيْنَ اثْنَيْنِ، وَتَعَوَّرَ وَاسْتَعَارَ: طَلَبَ الْعَارِيَّةَ، وَاسْتَعَارَهُ الشَّيْءَ وَاسْتَعَارَهُ مِنْهُ: طَلَبَ مِنْهُ أَنْ يُعِيرَهُ إِيَّاهُ" (ابن منظور، ١٩٩٣م: ٤/٦١٨)، أي أنّها تعني انتقال محمول معنوي أو شكليّ متعلق بشيء أو بلفظ معيّن إلى شيء أو لفظ آخر، على جهة الديمومة أو الآنية بمتعلقات الأحوال والمقاربات.

أمّا على مستوى الاصطلاح فالاستعارة تعني: "أن تُرِيدَ تشبيه الشيء بالشيء، فَنَدَعُ أَنْ نُفْصَحَ بالتشبيه ونُظْهِرَهُ، وتجيء إلى اسم المشبه به فتُعِيرُهُ المشبّهة وتُجْرِيهِ عليه" (الجرجاني، ١٩٩٢م: ١/٦٧)، فيما يرى أبو هلال العسكري أن "الاستعارة نقل العبارة من موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض، وذلك الغرض إما أن يكون شرح المعنى وفضل الإبانة عنه أو تأكيده والمبالغة فيه، أو الإشارة إليه بالقليل من اللفظ أو تحسين المعرض الذي يبرز فيه" (العسكري: ١٩٨٦م: ٢٦٨).

فالعرب "تستعير الكلمة فتضعها مكان الكلمة إذا كان المسمى بها بسبب من الأخرى أو مجاوراً أو مشاكلاً، فيقولون للمطر سماء: لأنه من السماء ينزل المطر فيقال: مازلنا نطأ السماء حتى أتيناكم ويقولون: ضحكت الأرض، إذا انبتت..." (ابن قتيبة: ١٩٥٤م: ١٣٥)، أي بمعنى أدق أنّها "ادّعاء معنى الاسم للشيء، لا نقل الاسم عن الشيء، وإذا ثبت أنّها ادّعاء معنى الاسم للشيء، علمت أنّ الذي قالوه من: أنّها تعليقٌ للعبارة على غير ما وضعت له في اللغة، وقل لها عمّا وضعت



له، كلامٌ قد تسامحوا فيه؛ لأنَّه إذا كانتِ الاستعارةُ ادعاءً معنى الاسم، لم يكن الاسمُ مُزلاً عمًّا وُضع له، بل مقرًّا عليه" (الجرجاني، ١٩٩٢م: ٤٣٧/١)، وهذا الادعاء والتعليق كلُّه يرجع لقاعدة أساس تتمثل بالتشبيه؛ لأنَّ الاستعارة لا تخرج عن أنَّها "ضرب من التشبيه، ونمط من التمثيل، والتشبيه قياس، والقياس يجري فيما تعيه القلوب، وتدركه العقول، وتستفتى فيه الأفهام والأذهان، لا الأسماع والأذان" (الجرجاني، ١٩٩١م: ٢٥).

إلا أنَّ الاستعارة تخالف التشبيه في أنَّها تنقل "العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض؛ وذلك الغرض إمَّا أن يكون شرح المعنى وفضل الإبانة عنه، أو تأكيده والمبالغة فيه، أو الإشارة إليه بالقليل من اللفظ، أو تحسين المعرض الذي يبرز فيه؛ وهذه الأوصاف موجودة في الاستعارة المصيبة؛ ولولا أن الاستعارة المصيبة تتضمن ما لا تتضمنه الحقيقة؛ من زيادة فائدة لكانت الحقيقة أولى منها استعمالاً" (العسكري، ١٩٩٨م: ٢٦٨)، على أنَّ هذه الحقيقة لا تعني الكذب؛ لأنَّ "الاستعارة تفارق الكذب بوجهين: بالبناء على التأويل، وينصب القرينة على إرادة خلاف الظاهر" (التهانوي، ١٩٩٦م: ١٦٩/١)، ويرتكز مبناها البلاغي على التأويل الذي يعطيها بينونتها وفاعلية تشكُّلها، فتكون ألفاظ الاستعارة محملة بمكونات معنوية وجدانية متنوعة تتلاءم مع التعبير الدقيق الذي قصد إليه المتكلم تعبيرًا عن حالته الوجدانية التي يشعر بها، وهو الذي جعل من الاستعارة المنفذ الرحب لتوليد تلك المقاصد، والتي من خلالها ترى "الجماد حياً ناطقاً والأعجم فصيحاً، والأجسام الخرس مبنية، والمعاني الخفية بادية جلية.. .. وإن شئت أرتك المعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقل كأنها قد جسمت حتى رأتها العيون" (اسرار البلاغة الجرجاني: ١٩٩١م: ٤٣).

مجلة العلوم الأساسية
للعلوم التربوية والنفسية وطرائق التدريس للعلوم الأساسية

إنما اختيرت الاستعارة في تكوين الشعر على ما سواه من الكلام؛ لأهميتها في صياغة نسيجه وحلاوة معانيه، فهي ليست أداة لتتميق المعنى أو تحميلة وإنما دورها يتمثل في أن تخلق صورة أدبية فيها خصوصية معينة تظهر سر جمالها" (جمعة: ٢٠٢٠م: ٣٩)، ومن دونها لا يمكن أن يستساغ نص شعري؛ فهي شاملة لجوهر فحواه، ينقل بها الشاعر مصداق ما يشعر به في مكنون وجدانه ليطفو على سطح ابداعه في نطاق كلماته المنقولة شعراً يظهر عبق التناقل الدلالي للكلمات من خلال مجموعة من التشبيهات المضمره في فكره (ينظر: البستاني: ١٩٨٦م: ٩٩-٩٨)، محوِّلاً معاني الألفاظ من لفظ لآخر، متجاوزاً التراتب المعجمي، غير أنه "لا يتم نقل هذه الألفاظ إلى



دلالات جديدة بشكل عشوائي؛ بل يتم وفق ضوابط وشروط لا يسمح النقل بدونها" (المصري: ٢٠٠٨م: ١٠٠)، وكما هو لا يخفى على صناع هذا الفن من أهمية علاقة المشابهة والرابط الوثيق بين المنقول منه إلى المنقول إليه في صياغة هذا الفن، مع مسحة دقة التعبير وحسن السبك وحلاوة اللفظ، وبما يتماشى مع سياق الموضوع الشعري، خاصة في أهميتها بتجسيد المعاني التي يريح الشاعر نحو توظيفها وبما يتلاءم مع طابع تعبيره الوجداني.

يمكن القول بأنه "تتمثل أهمية هذه النظرية للاستعارة في بُعدها الفلسفي والمعرفي وفي جعلها ذهنية أو لا تقوم على التشكيل، التشبيه، وتظهر فعاليتها في قدرتها على التجسيد الذي لا يمكن للعقل البشري أن يستغني عنه، حيث تقوم الاستعارة بتشكيل المجالات الذهنية من خلال التعامل معها وكأنها ظواهر مادية، من خلال نقل بنية الظواهر المادية إلى الظواهر المجردة" (ادريس: ٢٠٢٠م: ٢٠٧)، مما يؤدي إلى انسيابية التعبير، وقوة المسلك في نقل المحمولات، ودقة الاختيار، فالأصل في الاستعارة "أن تكون قائمة على الابتكار حتى تستطيع أن تمثل اعجاب النفس وتخطبها بالمعاني والدلالات الياحائية التي لا عهد لها بها فتثير دهشتها واستغرابها" (ناجي : ١٩٨٤م: ٥٩)، وقد حفل الشعر الحديث بهذه المحملات، لا أن من سبقه كان خالياً؛ بل لأن الشاعر المعاصر أصبح يرنو إلى اختيار اللفظ الدقيق للتعبير عن المعاني الوجدانية بطريقة موجزة ومبتكرة تتخذ أبعاداً حضارية مختلفة، ومن هذا الشعر هو شعر الخالدي الذي حفل بأسلوب الاستعارة وترتيباتها الوجدانية؛ تعبيراً عن تأملاته وشعوره الآخذ بفحوى مكنوناته التعبيرية، وفي شعره نصوص مختلفة تجسد دور الاستعارة في توليد تلك المعاني الوجدانية القابعة في ذهنه، منها قوله:

مجلة العلوم الأساسية
أميرة مختلفة للعلوم التربوية والنفسية ورئيس للعلوم الأساسية

مضيئة كعادتها

لا تعترف بقصص الحب العابرة

تشكك بقصص العذريين

كثيراً ما تكتب

أنها ليست كالأخريات



مغايرة

كقصيدة

جديدة

أميرة مختلفة

لا تمنح قلبها

لأي كائنٍ (الخالدي: ٢٠٢٣ م: ٥).

تحمل هذه الكلمات العبقة روحاً شعرية تجمع بين شفافية الحب وكبرياء النفس، معتمداً على الاستعارة في توليد معانٍ وجدانية قابضة في ذاته، إذ استهل مقطوعته بعنوان (أميرة مختلفة)، وهي في مجملها ترنو نحو الاستعارة التصريحية التي ذكر فيها المشبه به وهي الأميرة.

فالشاعر أراد اظهار قدسية المحبوبة من لحظة الشعور الأولى التي انطلت من وجدانه وتسطرت بكلمات على أوراق ديوانه، محولاً إياها من شخصية عادية إلى رمز وجداني كثيف في معانيه، ثم أعاد ذكرها في السطر التاسع؛ ليؤكد التزامه النفسي بما بينه ملتزماً ومعتقداً به سابقاً، وهو ذات الصيغة الاستعارية التصريحية المستعملة بعد استهلاله بقوله: (مضيئة كعادتها)، فهي وإن كانت توحى بالتشبيه، إلا أن الحضور الطاغي لصفة مضيئة جعل منها تصريحاً للأثر النفسي لهذا الكائن المقدس في وجدانه، ومحماً إياها صفات يراها أحق بها من غيرها، وهو تعبير دقيق واختيار فعال. للعلوم التربوية والنفسية وطرائق التدريس للعلوم الأساسية.

فالشاعر " لا يعدو على الواقع، إنما يستبصره استبصاراً لا يمكن أن يمنح له احتجاجاً عقلياً خالصاً" (ناصر: ١٩٨١ م: ١٢٤)، وهذا الاستبصار إنما هو ادراك لما يشعر به ويرآه ملائماً، غير أنه لا يكتفي ببيان شفافية هذا الحب وتقديسه له، بل أظهر مسحة من الكبرياء في الأسطر الأخيرة، معلناً أنها بهذه الصفات التي تتحلى بها قد أحبته، وليس أيما شخص من الممكن أن يدخل قلبها، غيره هو، بل منحه إياها كلياً، وهو ما يعكس النظرة الجامعة بين قوة الحب وكبرياء المحبوب.



ومن النصوص المؤثرة التي تجمع بين أنواع مختلفة من الاستعارة التي تجسد وجدان الشاعر وما يختلجه من مشاعر وأحاسيس، قوله:

المرأة الوردية

أبينها الوردة

امنحيني نذاك

عزفة عبق

من رذاذك

لا تبخلي

لم أعهد الورد

إلا كريماً

وأنت تغدقين البهجة

وترسلين

عبقك

مجلة العلوم الأساسية
للعلوم التربوية والنفسية وطرائق التدريس للعلوم الأساسية
نحو الفضاء

تتراقص الأشجار

طلباً لنذاك" (الخالدي: ٢٠٢٣ م: ٧٨).

تترأى في النص المائل أماننا صياغة بلاغية تسلسلية من الأصل إلى الفرع؛ تعبيراً عن الجسر الوجداني الذي يصل بين ذات الشاعر وفهم المتلقي، ففي مستهل عنوان القصيدة نراه يعقد تشبيهاً يليقاً يشبه فيه المرأة بالوردية، لكن بانتقاله للمتن يجرده من المشبه، مبقياً على المشبه به وهي الوردية، مكوناً بذلك استعارة تصريحية عبر مخاطبته المرأة على أنها وردة، ليلغي بذلك من خلال هذه



الاستعارة أيّ مسافة بين كونها إنساناً أو جزءاً من الطبيعة، وكأنها استحالت إلى كائن رقيق بهشاشتها وجمالها، وهو عمود ارتكز عليه الشاعر في بيان مراده، فتصريحه على أنها وردة لم يأت بصيغة شكلية تعكس الجمال الظاهري فقط، بل تنفذ إلى علاقة أشدّ ترابطاً وقناعة وجدانية بين أنا الشاعر والمحبوبة.

فهو هنا جعل من المحبوبة تتحول إلى "رموز ذات طبيعة حيّة، ويوحى الصوت وقعاً نفسياً شبيهاً بذاك الذي يوحى العطر واللون، مما يكشف عن تلك الوحدة الشاملة التي تربط بين معطيات الطبيعة، وذلك المعنى المطلق الذي ترتد إليه الأشياء" (أحمد: ١٩٨٤م : ١١١)، ثم يستمر بوتيرة الاستعارة عبر مخاطبتها ومعطياتها لها جمال المضمون المضاف إلى رونق الشكل، راجياً منها أن تمنحه نداها بقوله: (امنحيني نداك)، مستعيراً الندى للطف المغلف برداء القُبلة النديّة، ليرزح بعدها إلى الانتقال من التصريح إلى الاستعارة المكنية، قائلاً: (تتراقصُ الأشجارُ طلباً لنداك).

ولعل الأسنّة أدّت دوراً حيوياً هنا، فهو لا يجعل أثر محبوبته محصوراً به دون سواه، بل يشمل كل ما يكون ضمن محيط حضورها، وهذا التراسل بينها وبين ما حولها يعكس قيمتها بوصفه حضوراً ينتشي منه الوجود، فكيف بالمُحبِّ! فهو هنا "يسعى إلى بناء صورة شعرية، قوامها انهيار الحواجز المعنوية القائمة بين الحواس عند الشاعر، وبسبب هذا الانهيار يخلع صفة حاسة بصفة حاسة على حاسة أخرى" (عبد الله: ٢٠١٠م : ١٩).

ففي هذا النص أسهم الشاعر في نقل قصيدته من مجرد كلمات يصف بها المحبوبة إلى لوحة فنية استعارية وجدانية متحركة، بث من خلالها الروح في الأشياء التي وصفها، فهو جزء من الطبيعة عبر تماثلها بالورد، ومصدر للحياة عن طريق عبقها ونداها، وحضوراً فاعلاً تنتغم على مجيئه الموجودات، جاعلاً من هذه القصيدة لوحة شمولية تتوحد فيها ذات الشاعر العاشق مع محبوبته مع الكون المحيط في كلمات تعكس التوظيف الدقيق والاختيار الأنيق.

ومن قصائده الأخرى التي تمزج بين استعارات عاكسة لمكونات وجدانية فاعلة للعقل الفردي، قوله:

تَقْتَرِبُ الْقَصِيدَةُ مِنِّي وَتَقْرُ

القصيدة أنثى



وهذا وحدَهُ كافٍ...

أَنْ تَبَيَّتْ لَيْلَتَهَا

غارقةً بالأوجاعِ

كيفَ لها أَنْ تَنْتَظِمَ فِي سَبِيلِكِ مِنْ نَارٍ

وتولِّدُ فِي لَحْظَةٍ خَفَوْتِ

وَتُغْمِضُ عَيْنَهَا عَلَى وَجَعِ الرُّوحِ" (الخالدي: ٢٠٢٣م: ١٢٠).

تتشكل القصيدة على وفق معطيات استعارية كبرى متمثلة؛ بالانتقال من حيز الجامد إلى حيز الكائن الحي المعدب، وهذا بدوره يعكس شعوراً وجدانياً داخلياً يحمل روح الآخر وما يحس به، فهو يبيث فيها روح الحركة منذ السطر الأول، إذ تتمثل فيها الاستعارة المكنية كائناتاً حياً حذر، إلا أن هذا التردد بين اقترابها وابتعادها لا يعدو أنه بمثابة تجسيد لحالة نفسية قلقية، وتعبيره في هذا الموضع عن طريق الاستعارة المكنية يتناغم مع شعوره الوجداني بعدم الاطمئنان، فحتى القصيدة التي هي ملجأ الشاعر في التعبير عن آلامه لم تمنحه الطمأنينة التي يصبو نحوها، متذبذبة بين فرار وغياب.

فيما يلجأ بعدها إلى بيان أصل تلك الاستعارة المكنية لمفهوم القصيدة، إذ هي كالأنثى، بل لتمثل التشبيه البليغ ما يجعل التمازج بينهما كلياً، منتقلاً بعد ذلك إلى قوله: (وهذا وحدَهُ كافٍ...)، وهي جملة اعتراضية يؤكد الشاعر من خلالها أن تأنيث القصيدة وتصويرها بهيئة المتألّمة ليس فقط خاصاً بها؛ لأنّ "الشعراء لا يعبرون عن الواقع أو مسمياته الحقيقية إنما يعبرون عن واقعهم وما تختلج به نفوسهم من مشاعر وأحاسيس حتى أسماء الأشياء المرئية في العالم الخارجي تتبدل وتتغير الحقيقة حسب مخيلتهم" (البياتي: ١٩٧٢م: ١٧١)، إذ نجد أن هذا الألم هو مرآة لوجدانه وروحه المنكسرة، فقد استطاع تجسيد هذه الوحدة والألم دون الحديث عن نفسه، بل مكتفياً بتمثل الأنثى؛ لأنه لا يحس بوجع الآخرين إلا من عاش معاناة تشبه معاناتهم وآلاماً كالتّي تجلت فيهم.

ومن بديع استعاراته التي يتجلّى فيها وجدانه الضام للحس الجمعي وما يكابدونه من مآسي،

قوله:



أبتها الحربُ

أكلتِ الأخضرَ واليابسَ

وما زالت شهيتُك

مفتوحةً للمزيدِ

كنتُ أظنُّ أنكِ

شبعتِ

منذُ أولِ ضحيةٍ" (الخالدي: ٢٠٢٣م: ٩٨).

تحمل هذه الأسطر الشعرية التي سطرها وجدان الخالدي طاقة هائلة من الشعور الجمعي، التي تجلت من خلال توظيف الاستعارة المكنية وتحويل الحرب من حدث عسكري معروف إلى كائن حيّ لا إنساني مرعب وشرس وطامع، فهو لا يصفها على أنّها مجرد آلة مدمرة لنيل المطالب أو القتل، بل يحولها إلى وحش كاسر ونهم، إذ إنّ هذه الاستعارة تنقل القارئ من مجرد الوصف للحرب إلى استشعارها على أنّها كيان حيّ مرعب.

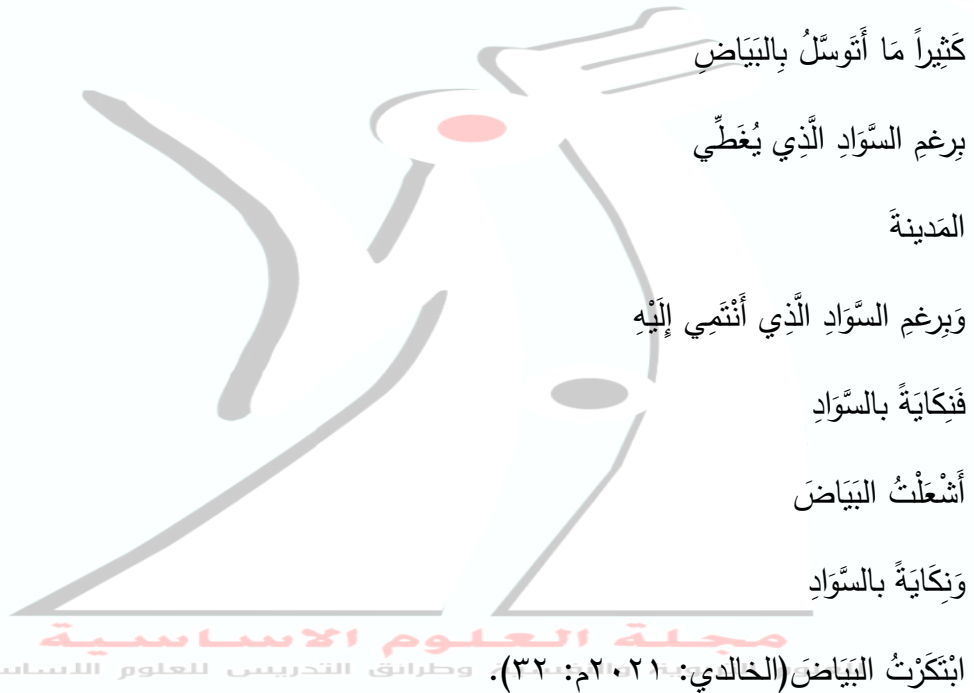
الشاعر هنا لا يكتفي بمخاطبتها عن طريق الاستعارة، بل يحملها صفات اللامعقول في عملية التجسيد هذه، ففي عبارته: (أكلتِ الأخضرَ واليابسَ، وما زالت شهيتُك، مفتوحةً للمزيدِ)، حول أفعال الدمار التي تنتجها إلى فعل مستمر، ووجدانه هنا لا يتألم مما يراه منها، بل من استمراره دون جدوى، بعثية مقبلة تأتي على الأخضر واليابس سواء، فهو تجاوز الفعل الإنساني المرتبط باللذة إلى أفعال حيوانية عشواء، لا تبقى شيئاً ولا تدره.

ثم إنّ الاستعارة هنا أدت إلى بناء علاقة مباشرة مع المصيبة، وكأنه يخاطب هذا الوحش ويعاتبه، ليتحوّل هذا العتاب بعدها إلى شفقة على حاله وحال الآخرين، عندما صرّح بقوله: (كنتُ أظنُّ أنّك، شبعتِ، منذُ أولِ ضحيةٍ)، ففيها دهشة مما تؤول إليه دون جدوى، وطمع لا محدود، يسفر عن اظهار مدى براءة الشاعر باعتقاده باكتفائها بضحية، مقابل وحشية الحرب النهمه للدمار.



لم تكن الاستعارة هنا مجرد زينة لغوية بتاتاً، بل هي "ظاهرة لغوية ناتجة من عملية استبدال أو عدول عن معنى حرفي إلى معنى مجازي، بل هي عملية إدراكية كامنة في الذهن، وتؤسس أنظمتنا التصورية، وتحكم تجربتنا الحياتية" (الحباشة وآخرون: ٢٠١٩م: ١٢٣)، وارتكازها في النص قد مثل مظهرًا من مظاهر انتقال الشعور الوجداني لدى الفرد الشاعر وما تعيشه الجماعة، على أسطر اللغة، فهو احتجاج على القسوة والرعب، قبال الرحمة والشفقة القابعة في ذاته.

كما أنه لا تقتصر الصور الاستعارية السابقة، المرتبطة بالوجدان على ديوان (أحبك واحدة) فقط، بل لديوانه الآخر الذي بعنوان (سيرة مختلفة) صور مؤثرة وبراعة مماثلة، ففي قوله:



تؤدي الاستعارة بشقيها التصريحية والمكنية في النص دور المحرك العاطفي والوجداني؛ لأنَّ الشاعر اتخذها أداة يعيد من خلالها صياغة واقعه النفسي، ففي قوله: (أتوسلُ بالبياضِ)، استعارة تصريحية تعكس جانب الأمل، قبال استعارة مكنية تعكس اليأس، تمثلت في قوله: (برغم السوادِ الذي يُعطي، المدينةَ).

الشاعر قد ألقى على النص عناية دقيقة واختيار جليل للألوان لما يريد التعبير عنه؛ "لأن اللون موضوع معقد، وهو جزء مهم من خبرتنا الإدراكية الطبيعية للعالم المرئي، اللون لا يؤثر في قدراتنا



على التمييز بين الأشياء فقط، بل يُغير من مزاجنا وأحاسيسنا ويؤثر في تفصيلاتنا وخبراتنا الجمالية بشكل يكاد يفوق تأثير أي بعد آخر يعتمد على حاسة البصر، أو أي حاسة أخرى " (صالح: ١٩٨٢م :٥-٦)، وهو في موضعه هذا قد اختار أكثر الألوان التي تعكس الأمل واليأس، أو كما يصطلح عليهما سيدا الألوان، إذ نراه قد عمد باستعمال الألوان في الاستعارة إلى المكنية تغليباً لواقع مريرٍ يمرُّ به حتى أصبح كغطاء أسود يلفه ويلف ما حلوه، مصرحاً قبلها بالتوسل ببصيص أمل يرنو نحوه باستمرار، ولغيابه عنه يسعى الشاعر لإنشائه وخلقه، وهو ما عبّر عنه بقوله: (فَنِكَايَةٌ بِالسَّوَادِ، أَشْعَلْتُ الْبَيَاضَ، وَنِكَايَةٌ بِالسَّوَادِ، ابْتَكَّرْتُ الْبَيَاضَ).

فالشاعر هنا نراه يضطر لخلق عالمة الخاص المليء بالخير والأمل؛ لأن عالم الواقع الخارجي الأسود الذي يعيشه لا يمنحه هذا الاختيار، وهذا يكشف عمق الصراع الوجداني لديه، بين عالم أسود قد كتب عليه قدرًا، وعالم أراده اختيارًا بانتصاره له فكرًا وإنشاءً، فيما لعبت الاستعارة دورها هنا من خلال تجسيدها لهذا الانقسام الذي آلت إليه حياته.

ومن تصويره الواقعي ووجدانه العاكس له وما آل إليه فهمه وفلسفته للحياة وما يعيشه هو وأقرانه، قوله:

وَالْعَالَمُ مَجْنُونٌ

كَذَبَةُ هَذَا الْعَالَمِ

يَخْرُجُ مِنْهُ

يَزِيدُ جُنُونِي

مُنذُ صَرَخَةِ أَوَّلِ آدَمَ

لَمْ يَعْرِفِ الْعَالَمُ

طَرِيقَ النَّجَاةِ

تُمْسِكُ يَدِي



وَلَا تَقُودُنِي

طَوِيلٌ هُوَ الطَّرِيقُ

وَلَا تَتَعَدَّرُ بِالمَسَافَاتِ" (الخالدي: ٢٠٢١م: ٤٠).

تعبّر هذه الأسطر المختارة ألفاظها بعناية عن حالة من الاغتراب والضياع الذي يعيشه الشاعر في هذا العالم، وهنا يأتي دور الاستعارة باعتبارها المحرك البصري لما يخلج في وجدان الشاعر من فلسفة واقعية، فهي تتجاوز الوصف إلى عملية تجسيد لما يشر به في صور يتلمسها المتلقي، ففي قوله: (العالمُ مَجْنُونٌ)، استعارة مكنية، إذ حوّل العالم من مجرد مفهوم مكاني إلى موجود حيّ بلازم صفة الجنون، وهذا التجسيد ينقل القارئ نحو شعور عدائي يمحي فيه الصدق تجاه العالم، وأن كل ما حوله كذب وحنون لا يرتجى منه أيّ خير، مما يزيد الجنون جنوناً والكذب خديعة.

غير أن الشاعر بهذا التجسيد، وهذه الصورة لا يجعلها طارئة، بل هي أشبه بإرث إنساني منذ الخليقة الأولى، وهو ما عبّر عنه بقوله: (مُنْذُ صَرَخَةِ أَوَّلِ آدَمِ)، فوجدان الشاعر الذي مثله عن طريق الاستعارة ليس ألماً مؤقتاً أو عابراً، بل هو كالقدر المحتوم الذي جبلت عليه البشرية منذ الأزل، فهو أشبه بالتيه الوجودي.

فهو قد عبّر في هذه الأسطر عن يأس وبؤس، وكل الطرق والمسافات هي شاقة ومؤلمة، لكن مع ذلك لا يلقي باللوم على المسافات، معطياً بذلك أملاً بالنجاة مما هو فيه، وما يشعر به تجاه هذا العالم، وهذا من بديع استعاراته في صياغة وتجسيد فلسفة الألم الجماعي، وهو نوع لا يتمكن من الإتيان بها إلا الشعراء المبدعون، إذ يبدو هذا النوع من الاستعارات "كأنه تشويش على النسق المعرفي، إنه ينحو في اتجاه تصورات جديدة، وخلف ترابطات غير مسبقة بين الموضوعات والأوضاع، يستطيع هذا النوع من الاستعارات أن يلاحظ المشابهة بين موضوعات مختلفة تماماً" (سليم: ٢٠٠١م: ١١٠)، وهذا هو جوهر التفكير والفلسفة، إذ يربط بين مكونات وجودية تحمل أبعاداً متنوعة في سبيل تقديم الصورة، وليست أي صورة! هي استعارة تدفقت من الوجدان بكلمات تحمل معاني واقعية فاعلة.



الخاتمة:

١. الاستعارة في شعر الخالدي ليست مجرد أداة بلاغية تزين الكلام، بل هي آلية إدراكية فاعلة في توليد المعنى الوجداني وتشكيله داخل النص الشعري.
٢. يتجلى دور الاستعارة في شعر جاسم الخالدي من خلال قدرتها على تحويل المشاعر الذاتية والتجارب الوجدانية المجردة إلى صور حية وملموسة، تلامس وجدان المتلقي وتشاركه الإحساس.
٣. اعتمد الخالدي على أنواع مختلفة من الاستعارة (التصريحية، المكنية) ليعبر عن حالات وجدانية متنوعة، كالحب والإعجاب، والألم والضياع، والرفض والاحتجاج، والصراع بين اليأس والأمل.
٤. سمحت الاستعارة بتجاوز حدود الواقع واللغة المباشرة، لخلق عوالم رمزية جديدة تعكس عمق رؤيته وتجربته، كما في تشخيص الحرب ككائن نهم أو تجسيد القصيدة كأنثى معذبة.
٥. تمكنت الاستعارة من الجمع بين الخاص والعام، حيث تعبر عن وجدان الشاعر الفردي، في الوقت ذاته الذي تلامس فيه هموم جماعية وإنسانية واسعة، كالحديث عن الجنون الكوني أو فظائع الحرب.
٦. كشفت دراسة الاستعارة في شعر الخالدي عن تلاحم عضوي بين الشكل البلاغي والمضمون الوجداني، حيث يصبح الانزياح اللغوي تعبيراً طبيعياً عن الانزياح النفسي والوجداني الذي يعيشه الشاعر.
٧. أثبت البحث أن أثر الاستعارة في إنتاج المعنى الوجداني يرتبط ارتباطاً وثيقاً ببراعة الشاعر في اختيار عناصر الاستعارة (المشبه والمشبه به) وملاءمتها للسياق الشعري العام، وقدرتها على إثارة دهشة المتلقي وتفاعله.
٨. يبرز هذا البحث أن دراسة الاستعارة تظل مفتاحاً أساسياً لفهم الآليات الخلاقة التي تحوّل التجربة الشعورية الداخلية للإنسان إلى فن لغوي مؤثر، وتؤكد على حيوية المنظور البلاغي المعرفي في تحليل الشعر العربي الحديث وتدوقه.



المصادر والمراجع:

١. الاستعارة من المقاربة الجمالية التقليدية إلى المقاربة العرفنية الحديثة، د.صبيحة جمعة ، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، مجلد ٤، عدد ٢، ٢٠٢٠م: ٣٩
٢. أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ)، علق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٩١م.
٣. الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية: د. مجيد عبد الحميد ناجي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٨٤م.
٤. انماط اشتغال الاستعارة في البلاغة الجديدة، سامية ادريس، مجلة الخطاب، منشورات مخبر لتحليل الخطاب، جامعة تيزي وزو، مجلة، ١٥ عدد ٢، ٢٠٢٠م.
٥. بنيات المشابهة في اللغة العربية مقارنة معرفية: عبد الإله سليم: دار توبقال للنشر، ٢٠٠١م.
٦. تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، تحقيق السيد احمد صقر، دار إحياء الكتب العربية - القاهرة، ١٩٥٤.
٧. دراسات في اللسانيات العرفانية، الذهن واللغة والواقع، صابر الحباشة وآخرون، دار وجوه، المملكة السعودية، الرياض، ط ١، ٢٠١٩م
٨. دلائل الإعجاز : عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ)، تحقيق : محمود محمد شاكر ، الناشر : مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة الطبعة، ط ٣، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢م.
٩. ديوان أحبك واحدة: جاسم حسين الخالدي: منشورات الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق، المكتبة الوطنية، ط ١، ٢٠٢٣م.
١٠. ديوان سيرة مختلفة: جاسم حسين الخالدي: منشورات الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق، المكتبة الوطنية، ط ١، ٢٠٢١م.
١١. ديوان عبد الوهاب البياتي: دار العودة، بيروت، ١٩٧٢م.
١٢. الرمز والرمزية في الشعر المعاصر: محمد فتوح أحمد: دار المعارف، مصر ١٩٨٤م.
١٣. رؤى في البلاغة دراسة تطبيقية لمباحث علم البيان: د. أحمد محمود المصري، دار الوفاء، الاسكندرية، ط ١، ٢٠٠٨م.
١٤. سايكولوجية إدراك اللون والشكل: قاسم حسين صالح: دار الرشيد للنشر، ١٩٨٢م.
١٥. الصناعتين، الكتابة والشعر: الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية، بيروت، د ط، ١٩٩٨م.



١٦. الصورة الأدبية : د. مصطفى ناصف: دار الأندلس، ط٢، ١٩٨١م.

١٧. الصورة الشعرية في الكتابة الفنية الأصول والفروع، صبحي البستاني، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٨٦.

١٨. لسان العرب: محمد بن مكرم بن علي بن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت ٧١١هـ) الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين، دار صادر، بيروت، لبنان، ط٣، ١٩٩٣م.

١٩. موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (ت بعد ١١٥٨هـ)، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، ط ١، ١٩٩٦م.

٢٠. نظرية تراسل الحواس: د. أمجد حميد عبد الله: دار ومكتبة لبنان البصائر، بيروت، ط١، ٢٠١٠م.

21. Sources and Reference:

22. Metaphor: From the Traditional Aesthetic Approach to the Modern Cognitive Approach, Dr. Sabiha Jumaa, Al-Umda Journal of Linguistics and Discourse Analysis, Volume 4, Issue 2, 2020: 39

23. Secrets of Eloquence: Abd al-Qahir al-Jurjani (d. 471 AH), commentary by Mahmoud Muhammad Shaker, Al-Madani Press, Cairo, 1991.

24. The Psychological Foundations of Arabic Rhetorical Styles: Dr. Majid Abd al-Hamid Naji, University Foundation for Studies and Publishing, Beirut, Lebanon, 1st edition, 1984.

25. Patterns of Metaphor's Function in New Rhetoric, Samia Idris, Al-Khitab Journal, Publications of the Discourse Analysis Laboratory, University of Tizi Ouzou, Journal, Issue 2, 2020.

26. Structures of Similarity in the Arabic Language: A Cognitive Approach, Abd al-Ilah Salim, Toubkal Publishing House, 2001.

27. Interpretation of the Difficult Passages of the Qur'an, Ibn Qutaybah, edited by Sayyid Ahmad Saqr, Dar Ihya' al-Kutub al-'Arabiyyah, Cairo, 1954.

28. Studies in Cognitive Linguistics: Mind, Language, and Reality, Sabir al-Habashah et al., Dar Wujuh, Riyadh, Saudi Arabia, 1st edition, 2019.

29. Proofs of Inimitability: 'Abd al-Qahir al-Jurjani (d. 471 AH), edited by Mahmud Muhammad Shakir, published by al-Madani Press, Cairo - Dar al-Madani, Jeddah, 3rd edition, 1413 AH - 1992 CE.



30. A Collection of Poems: I Love You, One: Jasim Hussein al-Khalidi: Publications of the General Union of Writers and Authors in Iraq, National Library, 1st edition, 2023.
31. A Collection of Poems: A Different Biography: Jasim Hussein al-Khalidi: Publications of the General Union of Writers and Authors in Iraq, National Library, 1st edition, 2021.
32. The Collected Poems of Abd al-Wahhab al-Bayati: Dar al-Awda, Beirut, 1972.
33. Symbol and Symbolism in Contemporary Poetry: Muhammad Fatouh Ahmad: Dar al-Maaref, Egypt, 1984.
34. Visions in Rhetoric: An Applied Study of the Topics of Rhetoric: Dr. Ahmad Mahmoud al-Masri, Dar al-Wafa, Alexandria, 1st edition, 2008.
35. The Psychology of Color and Shape Perception: Qasim Hussein Saleh: Dar al-Rashid for Publishing, 1982.
36. The Two Arts: Writing and Poetry: Al-Hasan ibn Abd Allah ibn Sahl ibn Saeed ibn Yahya ibn Mihran al-Askari (d. 395 AH), edited by Ali Muhammad al-Bajawi and Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, Al-Maktabah al-Ansariyyah, Beirut, n.d., 1998.
37. The Literary Image: Dr. Mustafa Nasif: Dar al-Andalus, 2nd edition, 1981.
38. Poetic Imagery in Artistic Writing: Origins and Branches, Subhi al-Bustani, Dar al-Fikr al-Lubnani, Beirut, 1986.
39. Lisan al-Arab: Muhammad ibn Mukarram ibn Ali ibn Manzur al-Ansari al-Ruwayfi'i al-Ifriqi (d. 711 AH). Annotations by al-Yaziji and a group of linguists, Dar Sader, Beirut, Lebanon, 3rd edition, 1993.
40. Encyclopedia of Technical Terms in the Arts and Sciences: Muhammad ibn Ali ibn al-Qadi Muhammad Hamid ibn Muhammad Sabir al-Faruqi al-Hanafi al-Tahanawi (d. after 1158 AH). Introduction, supervision, and review by Dr. Rafiq al-Ajam. Edited by Dr. Ali Dahrouj. Persian text translated into Arabic by Dr. Abdullah al-Khalidi. Foreign translation by Dr. George Zenani. Maktabat Lubnan Nashirun, Beirut, 1st edition, 1996.
41. The Theory of Synesthesia: Dr. Amjad Hamid Abdullah. Dar wa Maktabat Lubnan al-Basair, Beirut, 1st edition, 2010.

JOBS



مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science



Print -ISSN 2306-5249

Online-ISSN 2791-3279

العدد الثاني والأربعون

٢٠٢٦ م / ١٤٤٧ هـ



مجلة العلوم الأساسية
للعلوم التربوية والنفسية وطرائق التدريس للعلوم الأساسية